حوليات آداب عين شمس المجلد ٥٠ (عدد يناير – مارس ٢٠٢٢)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

تمثلات الأنا والآخر في رواية اللّجنة لصنع الله ابراهيم

فاضل عبد الأمير شريف*

كلية العلوم الاسلامية– جامعة بغداد
Fadil68777@gmail.com

المستخلص

لاقت جدلية الأنا والآخر اهتماماً واسعاً من لدن النقاد في العصر الحديث، كونها تعد إحدى دلالات الشرق والغرب. وتبلورت هذه الجدلية بتحقق اللقاءات بينهما، لاسيما عبر قنوات ووسائل لها مسوغاتها التي تجعل من هذه اللقاءات تواصلا حضاريا عبر مجالات مختلفة.

وكان من الطبيعي في ضوء هذه المعطيات أن تشكل تلك اللقاءات، ضمن ما تشكل قضية فنية أدبية يتناولها الأدب الإبداعي، وهو ما كان حقيقة وبشكل مبكر ،وقد صاحب النتاج الروائي للروائيين العرب هذه اللقاءات والتأثيرات بين العرب والغرب وكانت صورة كل منهما في هذا النتاج متفاوتًا لتباين نظرة المؤلفين (للآخر)، داخل العمل الروائي.

وقد أضاء البحث الرؤية الواضحة التي تناولت موضوعة الشرق والغرب من خلال رواية (اللجنة) للكاتب المصري صنع الله ابراهيم، فقد كشفت عن طبيعة صورة الآخر (الغربي) بوصفه استعمارياً وعدوانياً في جميع المستويات فكرية وثقافية وسياسية يترجمها الوجود النصي للجنة، كما افصحت عن صورة المرأة الغربية وأنماطها، بوصفها امتداداً لذلك (الآخر)، وتتبع البحث أحداث الرواية وأسلوبها ومقاصدها الحقيقية.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الأنا والآخر، حضور الآخر في الرواية، حضور المرأة في الرواية، التهكم من الآخر.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس ٢٠٢٢.

تقديم:

تعد إشكالية الأنا والآخر من أهم القضايا التي تناولها النقد الحديث، لاسيما ما تمر به المنطقة العربية ومثيلتها في العالم الغربي، من تبدل في القوى وبالأخص السياسية منها، فتغيرت أنظمة وبقيت أخرى، ليفتح بذلك سبلٌ من الرؤى والتطلعات نحو الغد المجهول فكانت هذه الثنائية (الشرق (الأنا/ الغرب (الآخر)، واضحة، وبارزة في أعمال الكثير من الروائيين العرب، فهناك من بين لنا بشاعة وهمجية ودناءة وغدر الآخر/الغربي،لأن الأنا العربية عانت القهر، والقمع والاضطهاد، الذي مورس عليها من طرفه، فجسدت لنا هذه الروايات، الصراع والصدام القائم بين الغرب والشرق منذ الأزل، فنظرت إليه نظرة سلبية وانغلقت على ذاتها، ورفضت كل ما هو أجنبي بحكم أنه عدو لدود، وسبب في تخلفها وانحطاطها، وتشتتها، وتمزقها.

وإنطلاقا من هذا التصور جاء هذا البحث ليقف على صورة "الآخر"/ الغربي وما يمكن أن يعتريها من تحولات وتغيرات في خيال "الأنا"/ العربي بمجرد أن يحدث بينهما لقاء سواء أكان طابع هذا اللقاء، صداميا عنيفاً أم ثقافياً مسالماً، لذلك آثرنا أن يكون موضوع بحثنا ضمن هذا الحقل المعرفي، واخترنا رواية ("اللجنة") "لصنع الله ابراهيم" فوسمنا هذا الموضوع بـــ("تمثلات الأنا والآخر في رواية اللجنة لصنع الله ابراهيم)"، ومن خلال قراءتنا لهذه الرواية بدت لنا ملامح "الآخر/ الغربي، مجموعة من الصور حاولنا تتبعها من خلال أربعة محاور يسبقها تمهيد. قدمنا في التمهيد قراءة فاحصة لجدلية العلاقة بين الشرق والغرب / الأنا والآخر، وبداية اللقاء بينهما. أما المحور الأول فقدمنا من خلاله الأبعاد العامة لبنية النص، على حين تطرقنا في المحور الثاني الى صور حضور الاخر في الرواية، أما المحور الثالث فقد أبان صور حضور الآخر المتمثل في المرأة، على حين أضاء المحور الرابع صور سخرية الأنا من الآخر في رواية اللجنة.وانهينا البحث بخاتمة بيّنا فيها أهم ما تمخض عنه البحث.

التمهيد:

أولاً: <u>الأنا والآخر المفاهيم والأبعاد</u>

قبل الخوض في هذا البحث، يحسن تسليط الأضواء حول مفهوم الأنا والآخر، إذ إن الآخر في الثقافة العربية الإسلامية قد تعدد، واختلف، وتسمّى بأسماء متقاربة في بعض الأحيان، ومتباعدة في أحيان كثيرة، فاصطلاح الآخر من المصطلحات الفضفاضة التي تحتاج إلى توضيح، إذ يتشظى هذا المصطلح ليحمل دلالات تتشابك علاقتها في الذات، فالآخر قد يكون آخر في الدين، أو اللغة، أو السياسة، أوالحضارة، أو العرق، وقد تنشطر الذات إلى "أنا "و"نحن"، وتتحول "النحن"إلى آخر، كما في حالة الذين يشعرون بالاغتراب، أو عدم الانتماء، ومن الممكن أن تنعدم "الأنا" في "النحن"؛ لتكونا معا ذاتًا واحدة في مجابهة الآخر.

الأنا والآخر مولودان معا، هذا ما يقرره علماء الاجتماع وعلماء النفس، فالصورة التي نتخيلها عن أنفسنا، لا تتم بمعزل عن صورة الآخر لدينا، كما أن صورة الآخر لدينا هي، بمعنى من المعاني صورة عن ذواتنا [١].

أما مؤلفا كتاب دليل الناقد الأدبي، فيريان أن:" كل ما هو خارج الذات هو آخر بالنسبة إليها، وذلك لأن "الآخر في أبسط صوره،هو مثيل أو نقيض (الذات) أو (الأنا)"[٢]،والذات أو الأنا في تعريفها الأقل تبسيطاً، هي مجموعة من النشاطات المسؤولة عن تعزيز الذات والدفاع عنها، وهو تعريف قدمه كل من العالمين الإجتماعيين،(جيمس مارك بلدوين) و(تشارلس كولي)، اللذين لم يفرقا بين الذات و الأنا، بل استخدما اللفظ بمعنى واحد. وتعريف الذات يتضمن عنصرين مهمين: الأول معرفي، والثاني تقييمي، والعنصران كلاهما يتشكلان خلال خبرة الذات مع نفسها وخبرتها مع الآخر، وعلى هذا فـــ "الذات نسق تصوري تطوره الكائنات البشرية أفراداً كانت أم جماعات، وتتبناه وتنسبه إلى نفسها، ويتكون هذا النسق التصوري من مجموعة من الخصائص الفيزيائية والنفسية والاجتماعية، ومن عناصر ثقافية كالقيم والأهداف والقدرات التي يعتقد الأفراد أو تعتقد الجماعة أنها تتسم بها، أما صورة الآخر فهي على هذا الأساس عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو جماعة ما إلى الآخرين الذين هم خارجها"[٣] ويعرف الآخر "بأنه الأجنبي المضاد للذات العربية، التي فرضت الظروف السياسية والاجتماعية والجغرافية والحضارية أن يكون ثمة اتصال وتماس وعلاقات حوار بين الطرفين"[٤]. أما الكاتب محمد راتب حلاق فمفاد ما ذهب إليه أن :"من أكثر العبارات تداولاً في الخطاب العربي المعاصر ثنائية (الشرق / الغرب) وإن نابت عنها ثنائيات أخرى مثل: الأصالة/ المعاصرة، نحن/ الآخر، الداخل/ الخارج...إلى ما هنالك من ثنائيات تكاد تكون متكافئة الدلالات"[٥].

والشرق اسم أطلقه الأوربيون الكاثوليك، على البلاد التي كانت خاضعة للإمبراطورية البيزنطية، منذ أن انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شطريها المعروفين، ومن ثم أطلقه الأوربيون على بلاد الإسلام فيما بعد. أما الغرب، فهو الاسم الطبيعي لمواجهة الشرق، يقول لويس برنار: (لقد اعتدنا نحن الأوربيين منذ مدة، أن نطلق على مجموعة البلاد التي ننتمي إليها : اسم الغرب، ولم يعد هذا التعبير يعني وضعاً جغرافياً خالصاً، بقدر ما يعني كياناً ثقافياً واجتماعياً وسياسياً وعسكرياً...)[٦] وفي الشرق الأوسط لم يستعمل تعبير(الغرب) بمعنى الكيان السياسي والثقافي، إلا منذ مدة قريبة، وربما يكون قد بدأ استعماله في

الوقت الذي راج فيه تعبير " الشرق الأوسط"[٧]... " فلم يعد الشرق والغرب اتجاهين على الأرض، بل أصبحا بالضبط تحديدين ميتافيزيقيين..." [٨].

إذن فالأنا(الشرقي) يقابلها الآخر(الغربي)، فهما وجهان لعملة واحدة لا يمكن الفصل بينهما، فهما متلازمان، فالذات تتحقق وتثبت وجودها من خلال تداخلها، وتواصلها وتشابكها مع الآخر.فعلى سبيل المثال: الذات أو الأنا العربية تمثل الذات الإسلامية، من حيث الدين، واللغة، والعقيدة والتفكير والحضارة...، فالآخر بالنسبة لها هو كل من يختلف عنها دينيا، ولغويا، وثقافيا، وحضاريا كالترك والروم والفرس... فوعي النفس بذاتها يؤدي إلى تكوين الهوية والتي تختلف وتتمايز وتتباين عن هوية الآخر[٩].

فالآخر إذن هو" التكوين الثقافي والجغرافي، والإنساني عموما المغاير للغرب، والمسمى.الشرق" فالآخر بالنسبة للعربي، أو المشرقي هو الغربي بكل ما يحمله من آمال و أفكار وطموحات وإيديولوجيات.

والملاحظ في أغلب الأحيان أن العلاقة بين الأنا والآخر هي علاقة تأثر وتأثير متبادل فيما بينهما، دون أن يتماهى أحدهما في الآخر لتظهر لنا صورة (الآخر) دوما ترتبط ارتباطا وثيقا بالأنا في إطار فعالية جدلية، وضمن هذا المفهوم تتكون لنا "فكرة "الآخرية" من حجم الصراع بين الإنسان والإنسان، وكل صراع بين إنسان وإنسان يبتدئ من تموضع كلا الطرفين في حيزي "الآخرية" فلا يمكن أن يحدث بينهما صراع ما لم يكن كل منهما آخر بالنسبة للآخر" وعلى سبيل المثال الأنا العربية /الآخر بالنسبة لها هو الغربي المتفوق، والمسيطر والمهيمن على الساحة الحضارية، والفكرية، والثقافية، والسبب يعود إلى ضعف العربي على مستويات عدة، مما يجعله بحاجة ماسة إلى الآخر الغربي.

إذن فالآخر "في أبسط صوره هو مثيل، أو نقيض الذات أو الأنا، إذ لا يمكن الحديث عن الآخر بمعزل عن الذات" [١٠].

والجدير بالذكر أن الذات لا يمكن أن تعرف نفسها إلا من خلال تعرفها على الآخر، وهذا ما أكده جاك لاكان حين وصف الآخر بنية رمزية وشعورية تساعد الأنا، أو الذات على تحقيق وجودها، أو كينونتها ضمن علاقة جدلية، كما يمكننا تحديد دلالاته (الآخر) من خلال سياقين:

الأول: معرفي وعلى ضوئه يبدو الآخر مفهوما تكوينا أساسيا للهوية أي للذات وهي تحدد هويتها، فلا هوية دون الآخر، فمن خلال اختلاف الأنا، أو الذات عن الآخر دينيا، ولغويا، وثقافيا، وعقائديا، وعرقيا تكون الهوية، التي تختلف بدورها عن هويته.

أما السياق الثاني: فهو سياق "قيمي أخلاقي يكسب الآخر من خلاله قيمة أو موقعا في سلم تراتبي يكون من خلاله مقبولا أو مرفوضا طيبا أو سيئا". فهذن السياقان اللذان يحددان دلالات الآخر يجتمعان غالباً أو في بعض الأحيان لتكوين وتحديد الهوية، التي هي جزء من موقف قيمي أو أخلاقي[١١].

إن علاقتنا بالآخر لها وجهان (توافق وتباين)، وعلى الرغم من أننا عندما نسمع هذا المصطلح يتبادر الى اذهاننا التباين والتخالف فإن ذلك ليس من الضرورة؛ فالآخر مصطلح يشير الى الـ(غير) وليس الى الند أو العدو أو المباين بالضرورة، وهذا الـ(غير) أو (الآخر) قد يكون الحبيب، أو الصديق، أو قد يكون شيئاً آخر غير بشري، بل إن من الممكن أن يكون الذات نفسها، وبذلك من الممكن أن نكون متوافقين معه أو متباينين بحسب طبيعة العلاقة بيننا والروابط التي تربطنا به والمواقف التي نتخذها منه، حتى إن الذات قد تكون متوافقة مع نفسها أو أن تنقسم على نفسها ويحارب بعضها بعضاً[١٢].

أمّا موقف الإسلام من الآخر، فإن الإسلام لا يلغي الآخر ولا يطمس هويته؛ فنحن نرى في القرآن والسنة ما يحثنا على التقارب مع الآخر، والإحسان إليه وحسن التعامل معه، والوفاء بالعهود والوعود التي تعطى له، وهكذا فإننا قد نختلف مع الآخر في الأمور العقائدية لكننا نتوافق معه انسانياً حتى في حالة الحرب[١٣] فالإسلام ينقض الفكر المخالف بأدلة يراها حجّة على الآخر... وهي ليست إقصائية بطبيعة الحال، بل هي نَقضيَّة، فهي لم تدعُ إلى استئصال المخالف من الحياة...بل هي حجاج خالص... ولم يفرض النقض هنا على المتلقي الالتزام والعمل بما يؤول اليه نتيجة تترتب عليه حسب منطقه وبنيته، بل ترك ذلك لاختياره أصلاً [١٤]

"إن الموقف الذي نتخذه من هذا الآخر لا يكون بالضرورة نابعاً من ذواتنا وتجاربنا، فقد نتخذ موقفاً عنيفاً معادياً من الآخر يكون نابعاً من سعينا نحو الخير، فليست هنالك حقيقة موضوعية، وربما كان تحديد هذه الحقيقة نابعاً من التقاليد المتوارثة من جيل الى آخر، التي قد تكون هي مصدر العداوة والعنف تجاه الآخر. إن الأديان "هي التي أسست أو أنشأت صورة للآخر المختلفة عقدياً بإعطائها صفات سلبية كاملة، مثل الكفر والخروج والإثم والإبليسية...الخ، بعد أن كانت هناك صفات ذات مضمون ثقافي أو حضاري، حيث كان اليونانيون والرومان يطلقون على الآخر صفات مثل الهمج والبربر. وأصبح الإيمان بالله أو العقيدة معيار تمييز وامتيازً للمؤمنين مقابل الآخر. لذلك كان اليهود شعب الله المختار، وخوطب المسيحيون بأنهم ملح الأرض ونور العالم، والمسلمون خير أمة أخرجت للناس "[١٥].

إن السبب في النظرة الى الآخر على أنه شر مطلق، لا بد من التخلص منه، هو تفسير النص الديني المقدس تفسيرا ظاهرياً؛ إذ يتم تفسيره وتأويله بحسب ظروف زمانه الذي جاء فيه، من دون الاهتمام بالتغير والتطور الحاصل، فمن يفسره ظاهرياً ينظر الى الآخر من منظور واحد، فلا يحاوره او يحاول فهمه، ولا يطلع على معارفه ورؤاه، لذلك يصبح الآخر لديه العدو او الجحيم الذي لا تستقيم الحياة الا بالقضاء عليه. وهكذا فإن الجهل بالآخر، وغياب الحوار معه، والطمع فيه يقود الى وصفه بما ليس فيه واتهامه بتهم كاذبة، والوصل معه الى اقصى درجات العداء.

إن الإسلام دين السماحة والسلام، يعترف بالآخر ويقبل به، لا يلغيه ولا يهمشه، فالتسامح "هو قبول الآخر، وهذا المعنى أي قبول الآخر من المعاني الواردة التي لا تمثل واقعاً، ولا تضبط أمراً حسياً، ولا ينتج عنها أي التزام او مسؤولية شرعية كانت أم قانونية وضعية، لذلك لا بد من ضبط المعنى بتحديد موضوع القبول وواقعه الذي ينصب عليه [١٦]. فالنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– عندما دعا الناس الى عبادة الله الواحد الأحد، لم ينطلق من باب فرض الهيمنة واكراه الناس على الإسلام، وانما كان دافعه الرحمة بهذا الآخر والشفقة عليه، الى درجة أن أصبحت هذه الدعوة واجبة على كل مسلم.

إن الآخر لا يزال إشكالية ثقافية، تأخذ حيزًا كبيرًا من الحوارات والسجالات التي تطرح على طاولة النقاش، "فالآخر هو الهوية ذات الابعاد الإيديولوجية والدينية، والآخر في الموقف السياسي،هو الجنس، واللون والمنهج المعرفي، والآخر من وجهة نظر المسلم هو المسيحي واليهودي، أمّا الآخر من وجهة نظر القومي فهو الأممي والوطني في بعض أنساقه، وبالنسبة للماركسي يتحدد الآخر في بعض مصاديقه الرأسمالي واشكالية الآخر تطال الانتماء الواحد أيضاً [١٧].

واستناداً لماسبق يمكننا أن نتصور ثلاث صور للآخر:

ــ الصورة الأولى: الآخر العدو، أي أخذ موقف معادي سلبي تجاه الآخر يتمثل بطرده، وزجره، وعدم السماح له بالعيش بيننا، وهذه الصورة تضفي مشروعية على النزاعات العرقية والطائفية؛ اذ انها تسمح بإقصاء الآخر.

ــ الصورة الثانية: اللامبالاة بالآخر، أي أخذ موقف لا يتسم بكثير من السلبية تجاه الآخر؛ فهو ليس بالعدو ولا بالصديق، فقد أكون تارة صديقاً له، وتارة عدواً بحسب المناسبات والظروف.

ــ الصورة الثالثة: الآخر بما هو أخ لي، وهي الصورة إيجابية، فهنا الآخر هو الأخ او الصديق المتوافق معه.[١٨]

إن موقف الأنا من الآخر هو الذي يحدد طبيعة العمل الإبداعي بمختلف أنواعه؛ أي انه عندما يتوافق مع الآخر فإن العمل يصب في صالح هذا الآخر، ويحمل طابعاً إيجابياً، سلمياً تجاهه، وقد يرفع هذا الآخر الى منزلة عالية ويخلده بهذا العمل الإبداعي. اما إذا كان العكس فانه سيحمل طابع التباين والتخالف مع هذا الآخر، وقد يخلده ولكن بصورة سلبية مقيتة، وقد حدث هذا مع نماذج كثيرة في تاريخ الأدب العربي وغيره من الآداب وبمختلف الفنون.

ثانيا : <u>محطات اللقاء بين الشرق والغرب</u>

إن اللقاء بين الشرق والغرب قديم قدم الخليقة على هذا الكوكب، ذلك أن الطبيعة البشرية أساسها التنقل والترحال.

وقد تحقق هذا اللقاء عبر قنوات ووسائل لها مسوغاتها التي تجعل من هذا اللقاء تواصلاً حضارياً عبر مجالات مختلفة.

فالمرة الأولى حين وصلت جيوش الفتح الإسلامي في القرن الثامن الميلادي إلى أوربا بإنسانها وفكرها، لاسيما أن العقيدة الدينية كان المحفز الرئيس لهذا الاحتكاك، كذلك الحملات الصليبية كان لها الأثر الواضح في تعميق ذلك الاحتكاك، وعلى الرغم من أن تلك الحملات ذات طبيعة عسكرية،إلا أنه فتح بشكل أو بأخر قناة للاتصال بين الشرق المتمثل بالإسلام والغرب المتمثل بأوربا، أمّا اللقاء الآخر فكان حين وصل الغربي غازياً ومبشراً دينياً ومستعمراً إلى عالمنا عبر بوابتي مصر وبلاد الشام ابتداءً بحملة نابليون في نهاية القرن التاسع عشر[١٩].

إن الصيغة الاساسية للعلاقة بين الشرق الأدنى وأوربا كانت قد تشكلت بالغزو النابليوني لمصر الذي كان على أكثر من وجه، النموذج الأكمل للمصادرة العلمية التي تمارسها ضد ثقافة ما ثقافة اقوى منها، ذلك أن احتلال نابليون لمصر أدى إلى تحريك عمليات بين الشرق والغرب ما تزال تسيطر على منظوراتنا الثقافية والسياسية المعاصرة. وقد قدمت الحملة النابليونية بمأثرتها البلاغية الجماعية وصف مصر منظرا أو وضعية للاستشراق، لان مصر أولا، ثم البلدان الاسلامية الاخرى أعتُبرت المجال الحي والمختبر،والمسرح للمعرفة الغربية الفعالة بالشرق.[٢٠].

إذن فقد حدث اللقاء الحضاري بين الشرق وضمنه العالم العربي والغرب وكان لابد أن يكون من نتائج هذا اللقاء على أرض الواقع أن تتبلور، انطلاقاً من تجربة الغربي مع العربي ونظرته إليه، صورة أو صور كل منهما في ذهن الأخر.[٢١]

وكان من الطبيعي في ضوء هذه المعطيات أن تشكل تلك اللقاءات ضمن ما تشكله قضية فنية أدبية يتناولها الأدب الإبداعي وهو ما كان حقيقة وبشكل مبكر وقد تمثله الأدباء بأشكال مختلفة، طبقاً لتفاوت درجات تأثير الأجناس الأدبية، لاسيما تباين طبيعة كل جنس أدبي، فإن الرواية كانت أكثر هذه الأجناس تأثراً بذلك لطبيعتها الواسعة، فهي تتعامل مع الواقع والمجتمع والمدينة، يعني تقديم الطبيعة ونقل وجدان الواقع [٢٢] فضلا عن أن طبيعة الجنس الروائي الذي يتقبل تداخل فنون إبداعية أخرى، الأمر الذي جعلها بانوراما الفنون الأدبية إن صح تعبيرنا.

لقد صاحب النتاج الروائي للروائيين العرب هذه اللقاءات والتأثيرات بين العرب والغرب وكانت صورة كل منهما في هذا النتاج متفاوتاً لتفاوت نظرة المؤلفين (للأخر)، داخل العمل الروائي.

كما أن غالبية النتاج الروائي الذي تناول موضوعة الشرق والغرب أو (نحن والآخر) هي روايات واقعية، ولأننا نريد أن نضيء تلك الرؤية العربية بدرجة ما، فإن تلك الروايات مع واقعيتها ستكون عونا لنا للإفصاح عن تلك الرؤية، وهذا ما ستفصح عنه شخصيات رواية (اللجنة) التي هي مدار بحثنا والأحداث التي انطلقت منها.

وتعلقاً بكون هؤلاء الروائيين هم وراء الشخصيات التي تقدمها الروايات فقد كان أبطالهم غالبا مثقفين، ولذا فهي تصلح لتقديم مقولات ورؤى عما يتعلق بلقاء الشرق والغرب هي أصلاً للكتاب أنفسهم من جهة، كما أن تفرد هؤلاء الروائيين بهذه التجارب الحقيقية تجعل من شخصياتهم التي هم وراءها ممثلة للناس بدرجات مختلفة من جهة ثانية.

المحور الاول

الصورة العامة لأحداث النص وأبعاده:

حري بنا قبل الولوج والتعرف على مدى تمثلات الآخر والأنا في رواية اللجنة التعرف على لمحات من سيرة الكاتب وأدبه.

أولاً / <u>لمحات من سيرته وأدبه :</u>

يعد صنع الله ابراهيم أحد الروائيين المصريين الذين ارتبطت أسماؤهم بالسياسة، وقد درس الحقوق قبل أن يتجه للأدب. كما يعد أفضل أدباء الستينيات وأكثرهم إثارة للجدل.

ولد عام ١٩٣٧، ويميل إلى الفكر اليساري، وسُجن أكثر من خمس سنوات من (١٩٥٩ـــ ١٩٦٤) وذلك في سياق حملة شنّها جمال عبد الناصر ضدّ اليسار.

تتميز أعمال صنع الله إبراهيم الأدبية بصلتها الوثيقة بالتشابك مع سيرته من جهة، ومع تاريخ مصر السياسي من جهة أخرى. أما من الناحية الفنية فإنها تمتاز بحبكة السرد والحكي وتشابك الاحداث فيحتاج القارئ للتركيز في رواياته حتى لا يتشتت أو تتوه الأحداث منه.

<u>أبرز أعماله الأدبية</u> :

١ــ تلك الرائحة" عام ١٩٦٦ ووصف فيها تجربته في السجن وفترة ما بعد الخروج، لكن لم تنشر الرواية كاملة إذ صودرت لعشرين عاماً حتى عام ١٩٨٦ وعندها تم نشرها كاملة لأول مرة بنصوصها الأصلية.

٢ــ كتاب "إنسان السد العالي" عام ١٩٦٧ الذي ولدت فكرته في المعتقل وأتبع هذا الكتاب بدراسة اسمها "حدود حرية التغيير" عام ١٩٧٣.

٣ ــ نجمة أغسطس" عام ١٩٧٤ وكانت واحدة من علامات التجديد في الرواية العربية والفن الروائي بصفة عامة وكان موضوعها الرئيسي هو المشروع الوطني والسد العالي وكانت بمثابة شهادة على العصر والحدث.

٤ــ رواية "اللجنة" التي صدرت عام ١٩٨١ وأثارت جدلًا واسعًا لانتقادها اللاذع لسياسة الانفتاح في عهد السادات.

٥ــ رواية "يوم عادت المملكة القديمة" عام ١٩٨٢ ونالت أفضل رواية للعام نفسه من المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، ثم في العام نفسه أصدر "اليرقات في دائرة مستمرة" وكذلك "عندما جلست العنكبوت تنتظر" وأيضًا "الدلفين يأتي عند الغروب"

٦ـــــ في عام ١٩٨٣ أصدر رواية " الحياة والموت في بحر ملون"

٧ــ رواية "بيروت بيروت" عام ١٩٨٤ التي تناول فيها الحرب الأهلية في لبنان

ورواية "٦٧" التي كتبها بعد نكسة ١٩٦٧ ولكن لم تحظ بالنشر إلا بعدها بـــ٤٥ عام!.

٨ــ رواية "ذات" عام ١٩٩٢ التي تحولت حديثًا إلى مسلسل تلفزيوني في ٢٠١٣ من بطولة نيللي كريم.

٩ــ رواية "شرف" في ١٩٩٧ التي تعد إحدى أفضل أعماله، وهي من أدب السجون ووضعت في المرتبة الثالثة في ترتيب أفضل ١٠٠ رواية عربية.

١٠ــ رواية "وردة" الصادرة عام ٢٠٠٠ وتدور حول سلطنة عمان وجبهة التحرير هناك في حقبة التسعينيات.

١١ــ رواية "أمريكانلي" الصادرة عام ٢٠٠٣ واسمها المبتكر الذي يمكن أن تقرأه "أمري كان لي" أو نسبة إلى أمريكا حيث تدور الرواية في جامعة أمريكية، ويتناول الكاتب فيها تاريخ البلدين.

١٢ــ يوميات الواحات ٢٠٠٥ وهي مذكرات يستعيد خلالها تجربة الاعتقال السياسي التي كانت موضوعا أساسيا في روايته الاولى.

١٣ــ "التلصص" عام ٢٠٠٧

١٤ــ "العمامة والقبعة" عام ٢٠٠٨ وكتاب " القانون الفرنسي" في العام نفسه.

ثانياً /البنية العامة للنص

رواية اللجنة التي نحن بصدد مقاربتها تحمل عنواناً مفرداً (اللجنة) وهو مبتدأ معرف يحتاج إلى خبر وهذا الخبر يمكن التوصل اليه من خلال استنطاق الحبكة الروائية، ويحيل على الطابع المؤسساتي والرسمي لهذه اللجنة على الرغم من ادعائها الاستقلالية عن السلطة.

كما يشير الى تكوين وظيفي ذي طبيعة محددة يناط به البت بأمر ما، ويستدعي أن تكون مؤلفة من عدة أشخاص بهويات وعناوين مختلفة ولكنهم يدينون بأيديولوجيا واحدة يدينها الراوي البطل بحرفية عالية معلنا رفضه لها ولو كلفه ذلك حكمها عليه بأن يأكل نفسه ليبلغ بذلك غاية الادانة لها، وهذا ما يجعل بلاغة العنوان لا تعطي كامل ايحاءاتها إلا بهذه النهاية حتى كانه (العنوان) مبتدأ خبره هذه النهاية [٢٣].

فاللجنة في هذه الرواية بمثابة جهاز مخابرات سرية تقوم باستنطاق المواطنين الغيورين على بلدهم وتطرح عليهم مجموعة من الأسئلة لمعرفة هويتهم وحقائقهم الذهنية والوجدانية ومن ثم فاللجنة نظام للمحاسبة والمكاشفة السياسية ورمز للتعذيب الإنساني واستمرار السجن ومصادرة حقوق الإنسان.

يستهل الكاتب روايته بمثوله أمام اعضاء اللجنة الذين أهانوه كثيراً بأساليب وقحة وبشعة مستفسرين إياه عن كثير من المسكوتات السياسية والأخلاقية، وكانت هذه اللجنة ذات صبغة عسكرية على الرغم من مظهرها المدني الذي يتجلى في بعض الشخصيات، إلا أن هذا المظهر سرعان ما يتوضح في المكاشفة المعرفية الثانية [٢٤].

لقد أحس الكاتب بذعر كبير وهو أمام اللجنة التي طلبت منه أن يرقص ويظهر عورته غير مبالية بمبادئ حقوق الإنسان وظلت تحاوره وتستخبره في أمور خطيرة جداً لها علاقة بالأخلاق والسياسة والمعرفة العلمية. ويحاول الكاتب أن يجيب مظهراً براعته في الكلام وتفوقه في الجدال الاقتصادي والسياسي، وذلك بتشريحه للمجتمع العربي الذي انتقل من القطاع العام إلى سياسة الانفتاح والتنويع والتطبيع وبعد ذلك طلبت منه اللجنة أن يهيئ بحثاً عن ألمع شخصية في العالم العربي ولقد تردد الكاتب كثيراً وبعد ذلك اختار أن يكون موضوع دراسته هو التنقيب في(سيرة الدكتور) بطريقة جديدة تتداخل فيها المناهج والعلوم[٢٥].

ولقد توصل إلى حقائق ونتائج خطيرة مما جعل اللجنة تتدخل لتوقف هذا البحث الذي أثار كثيراً من المشاكل للّجنة، مما أودى بالكاتب المحاصر ليتخلص من مراقبة شخصية "القصير" الذي كان ينغص عليه حياته ويراقبه في كل حركة يقوم بها، وكان يعد عليه أنفاسه التي تخرج من صدره ولو كان يقضي حاجته الطبيعية والأدهى من ذلك، أنه كان ينام معه إلى جواره في سرير واحد كأنهم في سجن من نوع خاص.

ولقد استدعته اللجنة لمحاسبته مرة أخرى بعد تخليصه من مراقبة شخصية" القصير" وبعد التبريرات التي قدمها لأعضائها العسكريين انسحبت اللجنة وتركوه ليتآكل على نحو مأساوي، وهكذا أوقعه هذا التآكل في تطاحنات فاشلة مع عملاق الاوتوبيس وطبيب العيادة الخاصة ويمكن أن نحدد أحداث فصول الرواية في العناصر الآتية :

- ❖ الكاتب أمام اللجنة لأول مرة قصد استنطاقه ودراسته.
- ❖ اعداد الباحث لموضوع عن ألمع شخصية عربية.
- ❖ اقتراب الكاتب من جمع المادة النهائية والبداية في تدوين المعلومات وتأليف الكتاب عن "الدكتور" اللامع في جميع البلدان العربية.
- ❖ محاصرة "أحد أعضاء اللجنة" (القصير) للكاتب وهو في منزله اثناء تفكيره ملياً في البحث الذي سينجزه عن "الدكتور" أما بتنفيذه وأما بالتخلي عنه.
- ❖ اللجنة تنظر في أمر الكاتب قصد التأكد من اعترافاته وصحة مبرراته وتقويم نتائج بحثه المعرفي.
- ❖ لحظة المأساة والتمزق والتآكل الداخلي لشخصية البطل.

المحور الثاني

حضور الآخر في الرواية:

يتمثل حضور الأخر الغربي بشكل عام والأمريكي بشكل خاص على نحو بارز بـــ(اللجنة) بوصفها نظاماً للمحاسبة والمكاشفة السياسية. ويحاول السارد (البطل) ومنذ اللحظة الأولى لمقابلة اللجنة الإعلان عن رغبته في تحديها ومواجهتها ويبدو هذا التحدي أكثر وضوحاً من خلال سخرية واضحة تطبع النص الروائي برمته لينقل لنا موقفه مما يجري في الخارج.

وتبعاً لذلك فأنه يفضح من خلال الخطاب (الروائي) السياسة الأمريكية القائمة على قيم مزيفة باسمها تغزوالعالم وتستعمره بطرق مختلفة أبشعها الغزو السياسي، إذ تهاجم أمريكا الشعوب باسم قيم زائفة تدعوها الحرية والديمقراطية والازدهار لكنها على مستوى الواقع تترجم في سياسة بربرية تقوم على إبادة الشعوب وثقافتها وثرواتها، لأن أمريكا تؤمن بأن وجودها لا يقوم إلاّ إذا كانت بديلا للحضارة التي تغزوها، وهذا ما يشهد عليه التاريخ في مراحل متعددة من سياسة الولايات المتحدة فقد كتب حاكم ولاية كاليفورنيا إلى المجلس التشريعي سنة ١٨٦٠ قائلا عن الهنود: "إن الرجل الأبيض الذي يعتبر الوقت ذهباً ويعمل طول نهاره ليبني حياةً سعيدة لا يستطيع أن يسهر طوال الليل لمراقبة أملاكه.. ولم يعد أمامه من خيار سوى أن يعتمد على حرب إبادة، إن حرب الإبادة قد بدأت فعلا ويجب الاستمرار فيها حتى ينقرض الجنس الهندي تماما"(٢٦).

هذا الأمر يفضحه السارد في مقاطع كثيرة وهو يتحدث عن الكوكاكولا. إذ يوازي خطابه بين النبرة التثمينية المخادعة للمنتوج والتلميح الساخر لسلبياته لا باعتباره سلعة، وإنما بوصفه قيمة رمزية تجسد الغزو في جميع مستوياته، فهو أولا غزو ثقافي وذلك لدوره في تشجيع ثقافات غربية على حساب الثقافة الوطنية:

"**كانت سباقة إلى استغلال الراديو وإلى إضاءة المدن بالإعلانات الضوئية، وتبني البرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية واحتضان نجوم الدنيا الجديدة ومعبوديها الجدد من ممثلين وخنافس ورواد للروك والتويست والبوب** "(٢٧).

وهي ثانياً غزو اقتصادي يقوم على التمويه بانتحاله بعداً وطنياً في اسواق الأوطان الفقيرة. "فهي تعتمد على فتح الأسواق العالمية على إقامة مؤسسات محلية مستقلة في كل بلد، يؤلفها أشهر الرأسماليين به وقد حققت هذه الخطة نتائج هائلة، ليس أقلها إضفاء الصبغة الوطنية على الزجاجة الأمريكية"(٢٨).

ومن الأبعاد الأخرى للسخرية التي يمارسها السارد الشخصية التهكم والتحقير لأعضاء اللجنة و لسياسة الانفتاح والهيمنة الخارجية على القرار السياسي المتمثلة في شركة الكوكاكولا قائلاً:

"**والواقع أن من حقنا أن نصدق ما يقال عن هذه الزجاجة البريئة المظهر وكيف أنها تلعب دورا حاسما في اختيار طريقة حياتنا وميول أذواقنا ورؤساء بلادنا وملوكها بل والحروب التي نشترك فيها والمعاهدات التي نوقعها** "(٢٩).

يتبين عبر هذه المقاطع الذي يجمعها هذا الخطاب كيف سخر السارد من اللجنة ومن مبادئها المزيفة ويفضح حقيقتها من خلال تشريح أيديولوجيتها التي تعتمد روافد متعددة تلتقي في كونها دعامة لأيديولوجية قائمة على قيم مزيفة تحيل على ظاهر يجعل منها قيماً كيفية وباطن يكشف حقيقتها المتجلية عبر ممارسات متعددة تتمثل كما بينا في الاستغلال والاستعمار الثقافي والسياسي والاقتصادي(٣٠).

كما يمكن أن نلاحظ من خلال الرواية استطراداً يقوم به السارد في شكل حكي و تعليق على الأحداث والشخصية التي يتطابق خطابها مع خطاب السارد في شكل أجوبة يقدمها للجنة. فجوابا على سؤال اللجنة المتعلق بالوقائع التي سيذكر بها القرن العشرين، استطرد السارد في إجابة كلها انحرافات، فعوض تحديد واقعة مهمة والدفاع عنها، يسترسل السارد الشخصية في ذكر الوقائع المختلفة والتعليق عليها وكأننا أمام مونولوج داخلي مسموع،أو تفكير بصوت مرتفع. ذكر العديد من الوقائع والشخصيات والمؤسسات كمارلين مونرو، والبترول العربي، والثورات، وحرب فيتنام، ومختلف أسماء الشركات العالمية، ودائما يرفق هذا الذكر بتعليق معين ليتجاوز الجميع و يستقر رأيه على شركة الكوكاكولا ليقوم بتحليل متهكم لتأثير هذه الشركة على الاقتصاد و السياسة. ثم ينتقل بإيعاز من اللجنة إلى الأهرامات، لكن إجاباته تتميز دائما بالاستطراد والانحراف الساخر والمتهكم عن الموضوع الأصلي، و كأن الكتابة الساخرة هي خروج دائم عن الموضوع واستكشاف متواصل و بحث عن تصدعات في السرد تمكن السارد الساخر من إشباع نزعة النقد التي تحركه و تبرره أصلا عملية السرد (٣١).

المحور الثالث

حضور الأخر (المتمثل في المرأة) في الرواية:

تأتي المرأة الغربية في الرواية،كما في أي جنس أدبي آخر، بصفتها العامة، إنساناً أو شخصية، كأي شخصية أخرى، نعني بمعزل عن صفتها الأنثوية، كما يمكن أن تكون في أي مجال حياتي أو عملي أو وظيفي،وقد تحضر بوصفها امرأة تحديداً،أي بحضور أنثويتها وخصوصيتها التي تفرقها عن الرجل، ومعها تحضر غالباً في العمل الأدبي، الأحاسيس والسلوكيات الخاصة بها المختلفة عن تلك التي للرجل. وفي أغلب الأعمال الروائية والقصصية العربية التي عالجت موضوعة الشرق والغرب تعاملت مع المرأة الغربية،انطلاقا من كونها تثير الإنسان الشرقي وتحرك عواطفه وغرائزه وإعجابه أو على العكس غضبه أو اشمئزازه في عوالم الغرب.(٣٢).

ومن خلال الفضاء الروائي لـــ(اللجنة) فأنها تضمنت شخصيتين تحاول تبين رؤية البطل (السارد) لهما.

فأثناء مثوله أمام اللجنة وهو يهم بالتركيز عليهم وهم يتحدثون أحاديث هامسة، وبعضهم يتصفح أوراقاً أمامه فقد اكتشف أن بينهم وجوهاً مألوفة طالعته من مثل على صفحات الجرائد والمجلات، واكتشف أيضاً أنه يعرف المرأة (صاحبة الصوت الرقيق) فهي عانس التقى بها في أحدى المناسبات : "**ولمست نفسي على أني لم أولها – حينذاك – شيئاً من الاهتمام وكانت تتطلع ألي الآن بابتسامة خلت أنها ودية**"(٣٣).

تعكس رؤية السارد لهذه النظرة أنها مقترنة بزمن معين لم يولها اهتماماً بإطار الزمن المحدد حينذاك فالذي يهمه منها مرحلة الازدهار (الجنسي)، والآن هي في مرحلة الإنطفاء من خلال كونها (عانس)، بتعبير آخر، فقد كانت تمثل لهم مجرد فاكهة طازجة سرعان ما ذهب مذاقها الشخصي، طيلة تركها لمدة زمنية.

أما صورة المرأة الأخرى ضمن(اللجنة) فكانت لها رؤية تجاهه ومن ثم وطدت في ذهنه رؤية تجاهها فقد كانت عجوزاً وقوراً كانت تجلس أقصى اليسار إلى جوار رجل بدين يرتدي سترة بيضاء، سألته:

"**هل تعرف الرقص؟**"

أجبت : "أجل بالطبع".

فتدخل الرجل القصير الغاضب قائلاً : "أرنا إذن"(٣٤).

إن سؤال تلك السيدة عن معرفته بالرقص يعكس لنا انها نظرت إليه من خلال ثقافتها التي تعكس نظرة غربية وسطحية وكأنها تريد أن تقول له إنك غير متحضر وغير مطلع على الفنون والثقافات بشكل كاف.

لكنه وقع تحت تأثير الانبهار بالغرب فجاءتْ إجابته سريعة، لهذا لم يناقشها بل استجاب لها لكن هذه الاستجابة كانت ممزوجة بالسخرية فيها إلى الحد الذي نزع ربطته العنقية وشدها على وسطه ورقص بكل اهتمام وهمّة :

"**انطلقتُ أهز وسطي وأنا أرفع كعبي قدمي قليلاً عن الأرض متطلعا أليهما من فوق كتفي بينما أشرعت ذراعي إلى أعلى وشبكت يدي فوق رأسي ورقصت في حماس بعض الوقت بل حاولت أن أطرق بأصابع يدي...**" (٣٥).

وهناك صورة للأخر تعكس بشكل أو بآخر نظرة الغرب للعربي على أنه شبقي لا يخرج عن دائرة الجنس في تعامله مع المرأة وأنه رجل شهواني لا يرى في المرأة سوى ممارسة الجنس (أو لا يراها إلا من خلال الجنس)، بعيداً عن الاهتمامات الأخرى وهي نظرة بوهيمية متدنية بعيدة عن الواقع.

لقد اعتمد السارد وهو يسخر من (الآخر) اللجنة نعوتاً وصفات قدم بها اللجنة تكررت على امتداد النص بحيث لا نعثر فيه على ما يحددها بشكل يجعل من أعضائها شخصيات واضحة المعالم، فقد اكتفى بتعيينها من خلال ضمير الغائب المفرد أو الجمع أو عبر صفات قدحية مثل "عجوز متهالك ذو عوينات طبية سميكة، (قصير القامة)،(قبيح الوجه)، وهذا يعني أن السخرية تكتسب قيمتها من المستوى القائم على التصوير الكاريكاتوري يهدف من خلاله إلى الانتقاص من اللجنة وهيمنتها والإصرار على تقزيمها لإبراز فراغها وضعفها ومسخ تلك الهالة التي تحيط بها، ومن ثم خلخلة مجموعة من العلاقات التي أريد لها الثبات والسكون على مستوى الواقع خاصة(٣٦).

وتتجلى صور السخرية في العتبات الداخلية الاخرى ومنها اللوحات الداخلية لأعضاء اللجنة فنجد لها حضورا كاريكاتوريا في غلاف النص، أو داخل صور أخرى تتخلل هذا الأخير، فتبدو معالمهم مشوهة وكريهة تعتمد القبح والمسخ الذي يضع القارئ منذ الوهلة الأولى أمام عالم كفكاوي يستمد دلالاته من تقاسيم الوجه القبيح وتشوهات الجسد وغرابة المكان الذي يجمع بين اللجنة وحيوانيين كريهين على الأقل في ثقافتنا العربية **(بومة وفأر كبير)**، فينشأ التنافر بين الوجود السياسي والفكري للجنة، وحضورها

الأيقوني في الصورة وهذه صفات لا تخصص هوية الشخصية لأنها صفات عرضية، ولا تغني بطاقتها السيميائية التي عادة ما تعتمد على سمات وخصائص تستمد من العالم المرجعي للقارئ [٣٧].

ويستمر السارد في فضح الوجه الحقيقي للجنة التي يمكن اعتبارها صورة مصغرة للولايات المتحدة، فكما تقوض هذه الأخيرة المعاني الحقيقة للقيم السامية يقوضها السارد من خلال ربط تمثال الحرية والكوكاكولا والرئيس الأمريكي بعصابات إجرامية لتغدو بذلك اللجنة وقيمها دليلاً على العنف والتقتيل والإبادة التي هي من أهم تجلياتها على مستوى النص.

المحور الرابع

الوعي بحدود(الأنا) والتهكم من الآخر

تعني السخرية على حدّ ما نقله الالوسي في تفسيره عن القرطبي تعريفه للسخرية بأنها:"الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء"[٣٨]. ويرى سليمان بن شبانة أنها :"الاستهزاء من الشخص أو الموقف بأسلوب يثير الضحك منه بقصد إهانته واحتقاره لتحطيم معنويته الشخصية والابتعاد عن مواقفه الشائنة "[٣٩]. وانتهى باختين من دراسة مفادها أن أصل الرواية هو الأجناس (الجدية ـــــــــ الهزلية) كالحوارات الأرسطية والسخرية المنيبية [٤٠].

ومن جانب آخر فإن السخرية موقف أخلاقي و فكري يعبر عن نفسه من خلال الأجناس الأخرى كالشعر والكتابة المسرحية والنثر الروائي والصحفي وغيره. وتحدث السخرية تغييرات مهمة في الجنس الأدبي الذي تمتزج به ولاسيما الرواية كونها جنساً أدبياً مفتوحاً على الأجناس الأخرى و قابلاً للتشكيل المتنوع والتجريب.

وفيما يخص رواية اللجنة فما يمكن ملاحظته هو امتزاج واضح نسبيا بين العناصر الروائية وعناصر السخرية. إذ يمزج الكاتب بطريقة فنية هذه العناصر ليقدم لنا عملا روائيا ساخرا. فالسرد التاريخي للأحداث يوازيه تحليل ناقد لحاضر المجتمع و لرموزه السياسية و الثقافية [٤١].

تبرز السخرية منذ اللحظة الاولى – من خلال كتابة **"(الكوكا-كولا)"** إذ قسم الكلمة إلى جزأين تفصل بينهما شارحة كإشارة من السارد إلى إعادة إنتاج الخطاب الإشهاري. وتلك أسلبة ردها السارد للسخرية من هذا الخطاب الذي يعد جزءاً من اللعبة السياسية الأجنبية القائمة على الهيمنة، المؤشرات النصية التي تدعو القارئ لأن يتخذ مسافة حذرة بينه وبين خطاب السارد القائم على قلب المعنى، مثل المزدوجتين اللتين تسيجان خطاب السارد عن (الكوكا ـــــ كولا) بطريقة تتكرر مرات متعددة هدفها تأكيد البعد الساخر في خطابه. لا تتوقف السخرية عند حدود المؤشرات الأيقونية والنصية، وإنما تبحث لنفسها عن دعامات أخرى تقويها وتجعلها تقنية قادرة على إدانة عالم يقوم على قيم زائفة كما أشرنا سابقا. يتحقق ذلك على المستوى الدلالي بحيث لا يكون خطاب السارد خطابا مضادا، إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار الحمولات الدلالية التي تملأه. ويزاوج السارد في تحيين خطابه بين.لغة الغير(الخطاب الإشهاري) ولغته الخاصة، [٤٢]. وترى الكاتبة بديعة الطاهري أن الكاتب في اسلوبه يفصح عن تقنيتين مختلفتين هما الأسلبة والتنويع، لكننا سنسلط الضوء على تقنية الأسلبة لكونها تعكس خطاب السخرية الموجه للجنة.

إذ يعتمد خطاب السارد من خلالها نبرة تثمينية– لا تخلو من السخرية بطبيعة الحال –في تقديمه للكوكاكولا باعتبارها منتوجا يجسد "المعاني السامية والخالدة للعصر"، وهو ما نستشفه من مجموعة من الحقول المعجمية المتناثرة في الرواية [٤٣]: **" لن نجد أيها السادة بين كل ما ذكرت شيئا تتجسد فيه حضارة هذا القرن ومنجزاته بل آفاقه مثل هذه الزجاجة الصغيرة الرشيقة التي يتسع إست كل إنسان لرأسها الرقيقة"**[٤٤]

" والواقع أن من حقنا أن نصدق ما يقال عن هذه الزجاجة البريئة المظهر، وكيف أنها تلعب دورا حاسما في اختيار طريقة حياتنا".[٤٥]

" إنها هي التي قضت على الوهم الذي ساد طويلا بشأن العلاقة بين العطش ودرجة الحرارة"[٤٦].

يستعير السارد في المقاطع السابقة لغة الإشهار القائمة على ترويج المنتوج وتثمينه. وهو خطاب مزدوج، يجد رافده أيضا في خطاب اللجنة لأنها المحاور الحاضر الذي يوجه إليه الخطاب، مما يجعل هذا الأخير ساخرا خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار علاقة السارد باللجنة، المبنية على الفضح والمسخ والتحدي. يكون الخطاب ساخرا أيضا،إذا نظرنا إلى التقابل الحاصل بين سؤال اللجنة وجواب السارد. إنه تقابل يقوم على التكثيف الدلالي في الخطابين معا.إذ يجد القارئ نفسه مدعوا إلى تأثيثهما لجلاء المواقف الساخرة [٤٧].

يستدعي سؤال اللجنة عن "المعاني السامية والخالدة" استحضار القارئ لحمولات دلالية تملأ هذه الوحدات المعجمية التي يفترض فيها أن ترتبط بالسياقات السياسية والاجتماعية التي يعرفها العصر الراهن خاصة، والمتمثلة في الحروب والهيمنة

والاستغلال والفقر الذي يعرفه الواقع الإنساني. يأتي جواب السارد (الكوكاكولا) مخادعا ومواريا لدلالات ساخرة. ذلك أن ما يتضمنه خطابه من تثمين لهذا المنتوج ما هو إلا خطاب مضاد لا يكتمل معناه ولا تنسجم قراءته ما لم يأخذ القارئ بعين الاعتبار بعده الساخر. فالقارئ يدرك أن الكوكاكولا رمز للهيمنة الاقتصادية الأمريكية في العالم برمته، وبالتالي تغدو من خلال هذا الخطاب تكثيفا دالا على القيم الاستهلاكية التي في تصديرها إلى العالم الثالث، تصبح دليلا على الهيمنة السياسية والاقتصادية لأمريكا خاصة و البلدان الكبرى عامة (٤٨).

وتتجلى السخرية اكثر وضوحاً عبر وضع اللقب بين مزدوجتين. ونحن ندرك جيدا أن المزدوجتين تشتغلان كتحذير من لدن الكاتب،كي لا يأخذ القارئ كلامه مأخذ الجد. تبدو السخرية واضحة أيضا من خلال تغييب اسم الدكتور واختزال الشخصية في هذا اللقب : " **فرغم أن صحفنا القومية تنشر دوماً نفس الاخبار والتعليقات بل ونفس الصور،إلا أن أركان الاخبار الخفيفة وانباء النوادي والسهرات تتميز بشيء من التنوع وهي التي عولت عليها، فليس ثمة مكان لأنباء " الدكتور" على الصفحات الاولى،طالما أنه ليس بالشخصية السياسية أو السينمائية.**" (٤٩) لنكون بذلك أمام لعبة التنكير والتعريف.

تنكير يسعى من خلاله السارد إلى اختزال الشخصية في لقب عام، وتعريف يجعل هذا اللقب لا يخص شخصية واحدة، ما دامت شخصيات من مجالات معرفية مختلفة تندرج في إطاره، لتغدو بذلك السخرية أكثر عمقا لأنها لا تطال الفرد وإنما مجموعة من الأشخاص إن لم نقل فئة، هي فئة المثقفين في مجالات متعددة وفي فضاءات عربية مختلفة.

وتبدو السخرية واضحة من خلال المقارنة بين ماضي الشخصية وحاضرها. ماض موسوم ببعض الإضاءات المشرفة مثل :" الاشتراك في الحرب ضد العصابات الصهيونية والدفاع عن الوحدة العربية– وحاضر يكشف عن دورها في تدجين الفكر التقدمي، وذلك من خلال سلوكها وممارساتها التي تعري وجهها الحقيقي باعتبارها نموذجا لشخصيات أخرى في مجالات متعددة، ساعدت على تعبيد الطريق أمام الاستعمار الأمريكي الذي يتجلى في النص عبر المستوى الاقتصادي والذي يتضمن استعمارا سياسيا غير مباشر"(٥٠).

لا يحدثنا السارد عن هذه المفارقة بطريقة تقريرية، إنما يختار الأسلوب الساخر الذي يصل من خلاله ماضي الشخصية بحاضرها. يعيد الماضي من خلال التذكير بأفكار الشخصية ومبادئها المدافعة عن مجموعة من القيم مثل الوحدة العربية، ويستقر على الحاضر ليبين لنا هجنتها عبر سخرية لاذعة تظهر سلبية تلك القيم وتحولها إلى قيم ممسوخة تتجلى عبر سلوك الشخصية وأفعالها وهذا ما نتبينه عبر هذا المقطع :

"لكننا لن نجد من هو ألمع وأكثر حضورا في كل مكان بالعالم العربي.ويكفي أن الوحدة العربية ترتبط باسمه....فهو من دعاتها الأولين... لكن ما يجهله كثيرون، وما أثبته بالوثائق، أنه من أبرز دعاتها والمؤمنين بها في هذا العقد الذي انحسرت فيه الدعوة. والمثير في الأمر أن الوحدة التي لم تتحقق في فترة صعود الدعوة إليها، قد تحققت الآن في فترة انحسارها، وهو ما لا يتبدى للرائي من الوهلة الأولى عندما يجابه بالاختلافات والمنازعات السائدة بين الأنظمة المختلفة. لكنه إذا تمعن في الأمر، وجد تحت هذا السطح الخداع وحدة متينة لم نعهد مثلها قبل الآن يرجع إليه الفضل في تحقيقها، وهي وحدة السلع الأجنبية المستخدمة من الكافة"(٥١).

ومن أجل فضح هذه الشخصية النموذج، يشير السارد إلى ثرائها الفاحش وحياتها الماجنة وإلى دورها في تسهيل قيم السوق والاستهلاك وعبر ذلك دورها في تعبيد الطريق أمام السياسة الكولونيالية وقيمها القائمة على دحض البلاد العربية(٥٢).

تجسد صورة السارد الشخصية في رواية اللجنة هذا الوعي بإمكانية الإنسان الفرد في مواجهة نظام قوي وضعيف وفي الوقت نفسه، قوي بالسلطة و بالمؤسسات وضعيف بوحشيته وقمعه للمعرفة و الحرية وإهانته للكرامة الإنسانية.

فالكاتب يقدم لنا ساردا مثقفا لكن طموحه في نيل اعتراف لجنة لا تعترف إلا بمن يتكلم لغتها وضعه في مواقف محرجة و مهينة لكرامته، كما أن الصمت و السرية المحيطين باللجنة وهويتها ووظيفتها جعل أغلب سرده وصفا للتآكل النفسي و للإحباط الذي يخيم عليه أحيانا و يجعله فريسة للتخمينات و للوسوسة لدرجة أنه أصبح يتمنى لي الفشل منذ البداية : "**لكن أغرب ما في الموضوع أني. لمست في أعماقي شعورا بالارتياح لهذا الفشل**"(٥٣).

إن وضعية السارد تعكس وتعبر عن قلق في وعي الكاتب من وضعية المثقف عموما في الوطن العربي، فالمثقف كالسارد في رواية اللجنة لا يملك سوى اللغة في مواجهة التسلط والقمع وقد يعرضه هذا الموقف للمحن والتعذيب النفسي والجسدي. لذا نرى أن اختيار الكاتب لسارد من هذا النوع يتماشى ورغبته في الانفتاح على الذات وفي استفزاز الآخر القارئ الذي ينتظر من المثقف أن يكون بطلا في الوقت الذي يقف فيه عامة الناس موقف المتفرج، كما حدث في الأوتوبيس عندما تدخل السارد لرفع الظلم عن امرأة تعرضت للتحرش الجنسي فكان مصيره اللكم أو عندما احتج على الطبيب الذي طالبه بدفع أجرة الفحص مرة ثانية

فكان مصيره الإهانة. فالوعي بحدود الذات و بسلبية الآخر هو الذي يدفع النص بأكمله نحو التهكم العام والمرارة وخيبة الأمل وذلك في محاولة لاستفزاز القارئ ودفعه إلى إعادة التفكير في مفاهيم أساسية طرحها النص كالكرامة والحرية ومقاومة القمع (٥٤).

إن رواية اللجنة هي في الوقت نفسه، رواية سياسية واجتماعية ولها أبعاد إنسانية تجعل من عملية التلقي عملية خصبة ومتجددة باستمرار تناقش مواضيع تتعالى عن الهم اليومي وتطرح مسألة الكرامة في مواجهة الإهانة والحرية في مواجهة القمع، وكلها قيم إنسانية ترقى بالكتابة الروائية للكاتب صنع الله ابراهيم إلى مستوى الأدب الإنساني. إن السخرية عند هذا الكاتب تستمد قيمتها ليس من مهاجمتها للجنة ولكن من مواجهتها للذات ولاتساع الوعي الذي تصدر عنه، الأمر الذي يستفز القارئ العربي المنشغل أغلبه بمدح الذات والبحث عن تضخيم الأنا وتمجيدها (٥٥).

الخاتمة

ختاماً يمكننا أن نخلص الى نتائج أبرزها:

١ــ يبدو أن تمثل صورة الأنا والآخر في الرواية العربية يعدّ مشهداً يدفع في سياق تاريخي وعقدي، يتجلى في الصراع بين الاستعمار بوصفه أداة تمزيق للهوية العربية والإسلامية، والأنا المتمثلة في الدفاع عن الوجود البشري العربي والإسلامي.

٢ــ إن (اللجنة)هي رواية جدلية المثقف والسلطة، ورواية واقعية انتقادية تنبني على السخرية الكاريكاتورية والمفارقة المذهلة. يتداخل فيها السياسي مع المعرفي، والتاريخي مع الاقتصادي، واللغوي مع الأدبي. كما تصور صراع المثقف مع أنظمة القمع وإعدام المعرفة قسراً ومنعا. إنها تبين لنا صراع الحقيقة مع الزيف وتملق السلطة وموالاة اللجنة لها. كما تؤشر الرواية على مصادرة حقوق الإنسان، واحتقار المثقف العربي من قبل مؤسسات الرصد والتجسس والمخابرات السرية التي تناصر الظلم وتحارب العلم والخوض في المعرفة الحقيقية.

٣ــ يعد القمع المعرفي من المشكلات الأساسية التي يعاني منها المجتمع العربي ومن ثم فقد أخذ الأدب وفن الرواية لاسيما(اللجنة)،على عاتقه أن يفضح هذا الزيف، ويكشف النقاب عن الحقيقة، لكن رغبة البطل في اختيار القوة والعنف سعيا وراء إحقاق الحق، إنتهى به إلى التآكل، وتعكس هذه النهاية أقرب ما يمثل الواقع الذي يعيشه الشرقي في ذهن الكاتب.

Abstract

Homologies of the Ego and the Other in Sunn'ea Alla Ibrahim Novel '' The Committee

By Fadhil Abdulameer Sharif

The dialectic issue of the ego and the other has attracted wide attention of the modern era critics for this issue represents the deep relationship between the east and west . The dialectic issue has crystallized through events between the west and east via accurate channels and ways that make these events as a cultural communication in different fields.

In the light of such facts , it is a normal case that these events formulate an artistic and literary issue that is tackled by the innovative literature These events and effects between the Arab and the west had. accompanied the narrative products of the Arab narrators .The images of both events and effects are viewed differently according to author's own point of view towards the "Other" inside the narrative work .

The present paper lightens the clear vision that tackled the theme of the east and west through this novel under study , " The Committee" , by Sunn'ea Allah Ibrahim .This novel has revealed the nature of the Other image (The west man) describing him as colonial and hostile in all intellectual ,cultural and political levels as interpreted by the textual existence of "The Committee" .Also, this paper has disclosed the image of the west woman regarded it an extension of the "Other. "

Key Terms: Ego and the Other Concept, the Other Existence, The Woman Existence, Mocking the Other.

الهوامش

١- أبو العينين، فتحي، صورة الذات وصورة الآخر، بحث من كتاب صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٩م : ٨١١.

٢ – د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي،دليل الناقد الادبي، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٠ :١١٥.

٣ – أبو العينين، فتحي، صورة الذات وصورة الآخر، بحث من كتاب صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه : ٨١٥.

٤ــ عيس، فوزي، صورة الآخر في الشعر العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠١٠م. : ٥٧

٥ ــ نحن والاخر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا ، ١٩٩٧ : ١٠.

٦ ــ لويس، برنارد: الغرب والشرق الأوسط. ترجمة د. نبيل صبحي :٣٤، عن محمد راتب الحلاق، الانا والاخر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق : ١٠.

٧ ــ محمد راتب الحلاق، الانا والاخر : ١١

٨ ــ م. ن : ١١

٩ ــ ينظر: سارة شاوش،جدلية الأنا والآخر في رواية كتاب الأمير مسالك أبو ابالحديد للروائي واسيني الأعرج مقاربة في التلقي والتأويل، رسالة ماجستير،جامعة العربي بن مهيدي–أم البواقي، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٥ : ٢٣.

١٠ ــ سامي الوافي: المثاقفة النقدية وسؤال الهوية: تفاعل الذات بالآخر، مجلة الآداب، العدد الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض، : ٤

١١ ــ ينظر : م. ن : ٦.

١٢ــ ينظر: صورة الاخر المختلف فكريا، سوسيولوجية الاختلاف والتعصب، حيدر ابراهيم علي، ضمن كتاب (صورة الاخر ناظرا ومنظورا اليه : ١١١ ــ ١١٥ .

١٣ ــ د. محمد عابد الجابري، مسالة الهوية العروبة والاسلام والغرب : ١٣٦.

١٤ ــ الآخر في القرآن، غالب حسن الشابندر: ٦٥ــ ٦٦.

١٥ ــ صورة الآخر المختلف فكريا: سوسيولوجية الاختلاف والتعصب ضمن كتاب)صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورا اليه : ١١٣

١٦ ــ الإسلام والأديان) دراسة مقارنة، مصطفى حلمي ط. ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ م.: ١٥٧

١٧ ــ ينظر : صورة الآخر في قصص سناء الشعلان، سناء جبار العبودي ط ١، دار أمل الجديدة، دمشق– سوريا، ٢٠١٨ م : ٣

١٨ ــ ينظر: صورة الآخر في النزاع العرقي، فكتوريا كوناستا،ضمن كتاب صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظو را إليه : ٦٠٠ ــ ٦٠١.

١٩ ــ أينظر: الرواية العربية المعاصرة والأخر، د. نجم عبدالله كاظم، عالم الكتب الحديث، اربد ــ الاردن،ط١، ٢٠٠٧ : ٦٣.

٢٠ ــ ينظر:الاستشراق (المعرفة – السلطة – الإنشاء)، أدوارد سعيد نقله إلى العربية، كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٦، ٢٠٠٣.، ٧٣.

٢١ ــ الرواية العربية المعاصرة والآخر:٦٦.

٢٢ ــ ينظر : م. ن : ٦٤.
٢٣ ــ ينظر : رؤية الواقع في الرواية المصرية الجديدة (١٩٧٠ ــ ١٩٩٥) د. شعبان عرفات مكتبة الآداب ــ القاهرة،ط١ ٢٠٠٥ :٢٩٠
٢٤ ــ ينظر: السخرية في رواية اللجنة لصنع الله ابراهيم، جميل حمداوي، صحيفة الحوار المتمدن، العدد : ١٧١٤، ٢٠٠٦: ٤
٢٥ــ ينظر : م. ن :٥
(٢٦) واشنطن تغتال العراق، فيصل دراج، مجلة الآداب، العدد ٣، ٤، مارس ٢٠٠٣م : ٥ .
(٢٧) اللجنة: ٢١.
(٢٨) م. ن: ٢٢.
٢٩) م. ن :٢٤
(٣٠) ينظر: عنف المتخيل والواقع قراءة في رواية اللجنة، بديعة الطاهري، ٥.
٣١ ــ ــ ينظر : جماليات السخرية في رواية اللجنة لصنع الله ابراهيم : محمد مفضل، جامعة اكادير، الجزائر،٢٠١٠ : ٨.
٣٢ ــ ينظر: نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، د. نجم عبد الله كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت ــ ط١، ٢٠١٣ : ١٧٣.
(٣٣) اللجة، ١٢.
(٣٤) م.ن، ١٢.
(٣٥) م.ن، ١٥.
(٣٦) عنف المتخيل والواقع، قراءة في رواية اللجنة لصنع الله إبراهيم، بديعة الطاهري، https://elhoucinebaaziz.wordpress.com/ :٣.
٣٧ ــ ينظر :عنف المتخيل والواقع، قراءة في رواية اللجنة لصنع الله إبراهيم، بديعة الطاهري : ٤.
٣٨ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود شكري الالوسي البغدادي، دار الاحياء التراث العربي،بيروت، ١٩١٤م، ج٢٦: ٥٢.
٣٩ ــ الرسوم الساخرة في الصحافة (الكاريكاتور) دراسة تحليلية، الرياض، شركة العبيدكان للطباعة والنشر : ١٠.
٤٠ ــ باختين (ميخائيل) ؛ الخطاب الروائي. ترجمة و تقديم محمد برادة. الطبعة الثانية.. دار الامان للنشر و التوزيع الرباط ١٩٨٧ :٣٢ ــ ٣٣.
٤١ ــ ينظر : جماليات السخرية في رواية اللجنة لصنع الله ابراهيم : محمد مفضل، جامعة اكادير، الجزائر،٢٠١٠ : ٤.
٤٢ ــ عنف المتخيل والواقع، قراءة في رواية اللجنة لصنع الله إبراهيم، بديعة الطاهري : ٤
٤٣ ــ م. ن : ٤.
٤٤ ــ الرواية : ٢٠
٤٥ ــ م. ن : ٣١
٤٦ ــ الرواية : ٢٢
٤٧ ــ ينظر :عنف المتخيل والواقع، قراءة في رواية اللجنة لصنع الله إبراهيم، بديعة الطاهري :٤
٤٨ ــ ينظر : م. ن : ٥.
٤٩ ــ الرواية : ٤٥.
٥٠ ــ م. ن : ٧٠.
٥١ ــ م. ن : ٧١
٥٢ ــ ينظر :عنف المتخيل والواقع، قراءة في رواية اللجنة لصنع الله إبراهيم، بديعة الطاهري : ٦
٥٣ ــ ــ ينظر : جماليات السخرية في رواية اللجنة لصنع الله ابراهيم : محمد مفضل : ١١، وانظر الرواية : ١٣
٥٤ ــ ينظر : م. ن : ١٢
٥٥ ــ م. ن : ١٢.

المصادر والمراجع

/ الكتب

١ــ الآخر في القرآن، غالب حسن الشابندر، ط ١، مركز دراسات فلسفة الدين، العراق، ٢٠٠٥ م.
٢ــ الاستشراق (المعرفة – السلطة – الإنشاء)، أدوارد سعيد نقله إلى العربية، كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٦، ٢٠٠٣
٣ــ الإسلام والأديان دراسة مقارنة، مصطفى حلمي ط. ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ م.
٤ــ جماليات السخرية في رواية اللجنة لصنع الله ابراهيم : محمد مفضل، جامعة اكادير، الجزائر،٢٠١٠
٥ــ الخطاب الروائي. باختين (ميخائيل)؛ ترجمة و تقديم محمد برادة. ط٢، دار الامان للنشر و التوزيع الرباط ١٩٨٧
٦–،دليل الناقد الادبي، د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٠ .
٧ ــ الرسوم الساخرة في الصحافة (الكاريكاتور) دراسة تحليلية، الرياض، شركة العبيدكان للطباعة والنشر. د. ت .
٨ ــ الرواية العربية المعاصرة والأخر، د. نجم عبدالله كاظم، عالم الكتب الحديث، اربد ــ الاردن،ط١، ٢٠٠٧.
٩ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود شكري الالوسي البغدادي، دار الاحياء التراث العربي،بيروت، ١٩١٤م .
١٠ ــ رؤية الواقع في الرواية المصرية الجديدة (١٩٧٠ ــ ١٩٩٥) د. شعبان عرفات مكتبة الآداب ــ القاهرة،ط١ ٢٠٠٥ :٢٩٠

١١ــ صورة الآخر في قصص سناء الشعلان، سناء جبار العبودي ط ١، دار أمل الجديدة، دمشق– سوريا، ٢٠١٨ م .
١٢ ــ صورة الآخر في الشعر العربي، عيس، فوزي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠١٠م.
١٣ ــ صورة الاخر المختلف فكريا، سوسيولوجية الاختلاف والتعصب، حيدر ابراهيم علي، ضمن كتاب (صورة الاخر ناظرا ومنظورا اليه. مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٩م.
١٤– صورة الذات وصورة الآخر، أبو العينين، فتحي بحث منشور ضمن كتاب صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٩م .
١٥ــ اللجنة، رواية، صنع الله ابراهيم، مطبوعات القاهرة، ربيع، ط٢، ١٩٨٢.
١٦ــ مسالة الهوية العروبة والاسلام والغرب د. محمد عابد الجابري، مركز درا سات الوحدة العربية، ط٤،بيروت، ٢٠٠٠ م.

الرسائل والاطاريح

ــ جدلية الأنا والآخر في رواية كتاب الأمير مسالك أبو ابالحديد للروائي واسيني الأعرج مقاربة في التلقي والتأويل، سارة شاوش رسالة ماجستير،جامعة العربي بن مهيدي–أم البواقي، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٥

الصحف والمجلات

١ــ السخرية في رواية اللجنة لصنع الله ابراهيم، جميل حمداوي، صحيفة الحوار المتمدن، العدد : ١٧١٤، ٢٠٠٦: ٤
٢ــ المثاقفة النقدية وسؤال الهوية: تفاعل الذات بالآخر، سامي الوافي مجلة الآداب،جامعة الملك سعود، الرياض، ع٢، ٢٠٠٤
٣ــ واشنطن تغتال العراق، فيصل دراج، مجلة الآداب، العدد ٣، ٤، مارس ٢٠٠٣م،

المواقع الالكترونية

( ) عنف المتخيل والواقع، قراءة في رواية اللجنة لصنع الله إبراهيم، بديعة الطاهري، 3: https://elhoucinebaaziz.wordpress.com/